غابة الموتى

ناصر رباح (غزة)

سجادة الموت الحمراء

يمسكُ سكيناً، يطعنُ نفسه، من يكتبُ في وقت الحرب.
هذا ترفٌ لا نملكه، خطايا بلا إمتاعٍ،
قرارٌ خاسرٌ أن تغسلَ أحذيةَ الشهداءِ قبيلَ النومِ،
أن تروي شجرَ العائلة بماءِ الذكرى،
لكني أتجرأُ وأبعثرُ وقتي خبزاً لطيورِ الحرب،
من يخرجُ للصاروخِ لساناً يا وطني إن لم أكتب؟
من يغسلُ آخرَ كلماتِ الموتى عن أيدي أطباء القلب؟
ويلمُّ الطلقات المنسية من جيب الجراحين؟
من يوصلُ سائق إسعاف للنوم بلا صوت الإنذار؟
أكتب لتصير الخيمة أوسع وينام كل هذا البكاء،
أكتب فلا يبيت ظل الطائرات فوق عش الحمام،
ولا تخرج الأم أبناءها من الركام مثل غسيل مبلول،
أكتب كي يلتئم الموتى في المقهى،
يتشاجرون: من كانت ميتته أغرب؟
من أعلن إصبعه الوسطى للدبابة،
من صعد ليبصق من فوق السطح على وجه الطيَّار؟
والنادل في وسط القصة يصغي، يصغي ولا يتذكر مثلي إن هو حي أم ميت؟
أغنِّي على سجادة موت حمراء ليصل الصوت إلى جوهنسبرغ،
أغني ليصل الحنين إلى السوافير.
أكتب ليعود العشاق إلى أحضان البيت، وليصبح عذباً ماءُ البلدية لا خمراً.
كي لا يمتلئ الشارع قططاً وقصائدَ يتسولن يديَّ الفارغتين.
أكتب كي أشعر أني أكتب، لا أتلوى من وجع الأسنان،
أكتب كي لا أبكي.

المشفى بعيد

كيف أسامحني وأنا تركتك في الزحام؟ السماء تمطر حديداً، والأرض مثل سجادة قديمة ينفض عنها الغبار، وفي الزحام كان المشفى بعيداً، والسماء تواصل هذيانها، ذهب الأزرق والأخضر ولم يبقَ في عيني غير الرماد، والزحام يخرج الشارع عن رزانته فيسكر، وينوح: أنا غابة الموتى.

عاد الشحاذون إليه، فوجدوه ضريراً،

وأنا عدت لأبحث عن عيوني، فلم أجدها.

كيف أسامحني، والمشفى بعيدٌ؟

عاد البكاء إلى بيته فلم يجده، عاد إلى ليله فلم يجده، وجاءني، شربنا نهاراً آخرَ، وبلاداً كثيرة، وقلنا: يا ذكريات كوني جميلة، فلم تكن، قلنا للشبابيك لا تجرحي عصافير القصائد، كانت البيوت جريحة، مدينة تفتش عن نفسها في الزحام، وأنا أجالس موتها، والمشفى بعيد ◆

واحد افتراضي، الأرض أعلى من جدران هذا الكون، 2013